المظاهر الاجتماعية في مملكة مالي من خلال كتاب ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

زينب عبد الجبار عباس عباس المفرجي
وزارة التربية- تربية بغداد الكرخ الاولى
Zanb1724@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.36231/coedw/vol30no4.14
Received 1/4/2019 Accepted 30/6/2019

الملخص

يبين هذا البحث المظاهر الاجتماعية في مملكة مالي من خلال كتاب **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار** لابن بطوطة وابرز الجوانب الاجتماعية من حيث المأكل والملبس والعادات والتقاليد والتي اصبحت الاساس في جوانب الحضارة الانسانية وانعكاساتها التاريخية على مر العصور فقد اغنت هذه المصادر الجغرافية وكتب الرحلات المكتبة التاريخية بكم وافر من المعلومات افادتنا في دراستنا التاريخية والاجتماعية والابعاد الفكرية في تاريخنا الحضاري المشرف

تعد مملكة مالي من أعظم الدول الإسلامية التي ظهرت في السودان الغربي خاصة وأفريقيا وجنوب الصحراء عامة ، حيث لعبت دوراً هاماً في نشر الإسلام في هذه المنطقة والمناطق المجاورة وساهمت في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية لقد عني المسلمون بتأليف الكتب الجغرافية عناية واضحة وبالذات التي تتحدث عن جغرافية المدن حيث كانوا يهتمون بالجوانب والمظاهر الحضارية ومراكز السلطة السياسية ومحاور الجباية ونقاط الدفاع ومنابر الدين والتجمع السكاني وغيرها ومن هؤلاء ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار الذي هو موضوع بحثنا فلقد ركزت على الجوانب الاجتماعية.

لقد اعتمد ابن بطوطة في رحلته إلى المملكة أسلوب الملاحظة المباشرة والوصف لملوكها وسلاطينها وأحوال البيئة والشعوب والشخصيات فقد تحدث عن كل صغيرة وكبيرة رآها فلم يعتمد على البحث والتقصي لمجريات الأحداث التي تعترض لها وإنما نقلها كيفما رآها . لذا لاحظنا أنه أغفل عن بعض الجوانب مثلاً الموقع الجغرافي أو نوع السكان الذين يعيشون في المنطقة .. وقد تشابه في بعض الأمور مع الرحالة الافريقي (ليون) كما أنه أبرز مظاهر الترف والأبهة والثراء للأغنياء لكن استنتجت أن هناك اختلاف طبقي في المجتمع فهناك الأغنياء المترفين والفقراء المعدمين والعبيد . والاهتمام بالتراث الجغرافي لإبراز الدور العربي الإسلامي في الحضارة الإنسانية

الكلمات المفتاحية : ابن بطوطة, مملكة مالي, ابن جزي.

Social Aspects in the Kingdom of Mali Through Ibn Battuta's book *Tuhfat Alnuddar in Garaeb Al Amsar Wa Ajaeb Al Asfar*

Zainab Abdul Jabbar Abbas Al Mafraji
Ministry of Education-Education of Baghdad Al-Karkh /1

Abstract

This research shows the social aspects in the Kingdom of Mali ,through Ibn Battuta's book *Tuhfat Alnuddar in Garaeb Al Amsar Wa Ajaeb Al Asfar* deceased 779 AH, 1377 A.D of and the most prominent social aspects in terms of food, clothing, customs and traditions which have become the basis in the aspects of human civilization and the historical reflections throughout the ages has enriched these geographic sources and books of trips the historical library of abundant quantity of information benefited us in our historical and social study our and the intellectual dimensions in our honorable cultural history.

The Kingdom of Mali is one of the greatest Islamic countries that emerged in Western Sudan especially and in Africa and the sub-Saharan region in general. It played an important role in spreading Islam. Muslims were interested in the composition of geographical books, especially those that are concerned with the geography of the cities where they were concerned with the aspects and manifestations of civilization, the centers of political power, the axes of the

collection, the points of defense, the platforms of religion, the population and others. One of those Muslims is Ibn Battuta's book.

Ibn Battuta, on his journey to the Kingdom, adopted the method of direct observation and description of its kings and sultans and the conditions of the environment, peoples, and personalities. He spoke of everything he saw, and he did not rely on research and investigation of the events that confront them, but conveyed them as he saw them. So we noticed that he overlooked some aspects, for example, the geographical location or type of population living in the region, and he was similar in some things with the African traveler (Lyon). Ibn Battuta showed the most prominent manifestations of luxury and rich people. It is concluded that there is class differentiation in society, so there are rich and poor people who are landless and slaves. Thus, we recommend paying heed to the geographical heritage to highlight the Arab-Islamic role in human civilization

Keywords: Ibn Battuta, Kingdom of Mali, Ibn Jezzi.

اهمية البحث

تكمن اهمية البحث من خلال نقله لمظاهر الحياة الاجتماعية لتلك المملكة وكيف انتشر الاسلام فيها ومقدارتطور الحياة الاجتماعية واسلوب معيشتهم وماكلهم وملبسهم وكيف تغير وضعهم الاجتماعي بعد دخولهم الاسلام وترابطهم ومكانة المراة في تلك المناطق كل هذا وفق منظور واطارهذا المؤلف التاريخي الخاص بالرحلات وهو رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكيف ان هذه الكتب اغنت المكتبة التاريخية.

اما الطريقة التي تم اعتمادها في هذا البحث لقد قمت باستخدام منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على الوصف للاحداث عن طريق ما راه هذا الرحالة مراعية التسلسل الزمني للاحداث التاريخية مع اعطاء صورة لواقع الحياة الاجتماعية لهذه المملكة خلال تلك الحقبة الزمنية .

المقدمة

مملكة مالي من أعظم الممالك والدول الإسلامية التي ظهرت في السودان الغربي خاصة وأفريقيا وجنوب الصحراء عامة ، حيث كان لها دوراً هاماً في نشر الإسلام في هذه المنطقة والمناطق المجاورة وأثبتت اهميتها في توضيح تعاليم الإسلام ونشر اللغة العربية . وقد تطرقت لهذه المنطقة وأبرز مظاهرها الاجتماعية من وجهة نظر ابن بطوطة في كتابه الرحلة الذي يسمى (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ويعد ابن بطوطة من الرحالة المشهورين الذين أسهموا في رفد التاريخ بصور واقعية وفق ما شاهده من أحوال البلاد وقد دونت الرحلة على يد ابن جزي[1] كاتب السلطان المريني.

يحتوي البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع . يتناول الفصل الأول ابن بطوطة مبحثين الأول يتحدث عن سيرته الشخصية والعلمية (أسمه ونسبه وولادته ونشأته وثقافته وصفاته ووفاته ورحلاته) . أما المبحث الثاني فيتحدث عن كتاب الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) من حيث أسلوبه وطريقة كتابته وأهميته ودوافعه ومحتواه .

أما الفصل الثاني فيتحدث عن مملكة مالي من حيث موقعها الجغرافي وسكانها وتأسيسها وتاريخ رحلة ابن بطوطة إليها وأشهر ملوكها . أما المبحث الثاني يتحدث عن المظاهر الاجتماعية في مملكة مالي من حيث مكونات المجتمع وفئاته وطعامهم وملابسهم وأخلاقهم وأعيادهم وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية فيها من خلال كتابه الرحلة لابن بطوطة .

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هو كتاب رحلة ابن بطوطة المسمى ((تحفة النظار وغرائب الأمصار)) وكتاب وصف افريقيا لمؤلفه ليون الافريقي اما المراجع التي اعتمدت عليها منها الدعوة للاسلام للمستشرق توماس ارنولد ، كتاب مهذب رحلة ابن بطوطة للعوامري واحمد جاد المولى وكتاب ابن بطوطة ورحلاته للدكتور حسين مؤنس ، وكتاب المد الاسلامي في غرب افريقيا للغنيمي وتاريخ انتشار الاسلام في افريقيا لحسن ابراهيم حسن وغيرها

المبحث الأول

سيرته الشخصية والعلمية

أ – سيرته الشخصية

أسمه ونسبه : هو رحالة مشهور أسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي وكنيته أبو عبد الله ولقبه شمس الدين ويعرف بابن بطوطة [2] . ولقبه الأخير ليس جزء من أسمه وإنما هو شهرته وما زال ذلك الاسم معروفاً إلى اليوم في المغرب [3] .

ولادته

ولد في طنجة وأقام بها حتى عام 725ه/1325م وكان مولده في 17 رجب سنة 703هـ /1307م وقد أقام بها حتى بلغ الثانية والعشرين من عمره [4] .

نشأته وثقافته

نشأ ابن بطوطة في طنجة بين أهله وذويه وكانت نشأته في بسطة من العيش وطمأنينة بالفلم يكن يخطر في باله أن يهجر أهله ووطنه ويسافر إلى غير بلاده حتى دعاه داعي الحج فلبى داعي الله [5] ويقول ابن بطوطة عن نفسه ((أنه ينحدر من بيت فقهاء تولى الكثير منهم القضاء)) [6] فهو ينحدر من أسرة من مشاهير العلم والفقه وكانوا يتمتعون بتقدير كبير من الناس . لقد درس ابن بطوطة على طريقة أمثاله من الشبان في ذلك العصر حفظ القرآن وبدأ يدرس على يد الشيوخ لكي يكون فقيهاً كأبيه ولكنه لم يتم دراسته بسبب سفره ورحلته لأن الذي يكمل دراسته يكون قد بلغ الثلاثين من عمره ويبدو أن رغبته بالسفر والجولان اعجلته عن إتمام الدراسة [7] .

أخلاقه وصفاته

من خلال الاطلاع على رحلة ابن بطوطة يتبين من خلال كلامه عن نفسه أنه كان :

1 . شديد التأثر
2 . يقظ الوجدان
3 . رقيق العاطفة
4 . تقياً محباً لوالديه
5 . معظماً للاتقياء والصالحين يزور قبورهم للتبرك بهم ويروي الكثير من كراماتهم وما ينسب عنهم من أعمال البر كإقامة الزوايا والتكايا وحبس الأوقاف الكثيرة مما يدل على شدة ورعه وتقواه [8] .

أما حبه لوالديه فقد أفصح عنه ((أنه تركهما وصياً كما لقي من الفراق نصباً)) [9] وعندما عاد من رحلته الأولى وبلغه موت أمه حزن حزناً شديداً قطعه عن كل شيء حتى صلته بحاشية الملك أبي عنان[10] في فاس وهي مصدر ما لقيه من تكريم ونعمة وسافر لزيارة قبر والدته [11] .

6 . كان شديد الحساسية والتأثر وكان شعوره بالوحدة يدعوه إلى الانقباض والحزن إذ ترك أهله وعشيرته وهو في أوج شبابه [12] .
7 . صدقه وأمانته في النقل : لقد كان ابن بطوطة يحدث الناس بما رأى من عجيب صنع الله في خلق الحيوان والنبات وما شاهده من أخلاق الأمم وعاداتهم وأحوالهم مما يعد غريباً عند من لم يره أو يقع مثله له [13] .

وفاته

بعد عودته من رحلاته اتصل ابن بطوطة بالسلطان أبي عنان بن مرين وأقام في حاشيته بحيث لقي من السلطان كل تقدير واحترام فأقام في حاشية السلطان يحدث الناس بأخباره حتى مات في بلاد فاس سنة707ه/ 1377م [14] .

ب . سيرته العلمية

يبدو من خلال كتاب الرحلة وعدد من المصادر التاريخية إن ابن بطوطة لم يهتم بإكمال دراسته لكي يكون فقيهاً وإنما تعلم من خلال رحلاته وسفره في البلدان وأصبح ذا اطلاع واسع فهو ليس كبقية الطلبة التقليديين الذين خرجوا للدراسة على يد شيوخ بعينهم أي لم يتم الدراسة بطريقة منهجية أي أنه لم يجاور الشيوخ لإتمام سماع أصول الفقه وعلوم الدين ليحصل على الإجازات الدراسية حيث أنه كانت له في الحياة مطالب واهتمامات أخرى [15] .

ولكنه امتاز بكثرة رحلاته التي كشف فيها وتعلم العديد من العلوم والمعارف حيث درس أحوال البلاد الإسلامية وما يجاورها من الممالك وأعطى وصفاً دقيقاً أفاد جميع البلدان سواء كانت الإسلامية أو غير الإسلامية .

رحلاته 725-754هـ/1325-1354م

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات واسعة النطاق جاب فيها أكثر ما عرف في زمانه من البلاد :

1 . الرحلة الأولى 725-749هـ/1325-1349م

قضى ابن بطوطة في رحلته الأولى 24 سنة فخرج من طنجة سنة 725ه /1325م للحج فمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر ثم قصد إلى عيذاب[16] على البحر ماراً ببلاد الصعيد يجتاز البحر الأحمر فلم يتهيأ له ذلك للحرب التي كانت قائمة بين الممالك والبجاه فعاد إلى الفسطاط ثم رحل عنها إلى بلاد الشام والحجاز فحج حجته الأولى ومن بلاد الترك ثم عاد إلى مكة فحج حجته الثانية وأقام بها سنتين ثم غادرها إلى اليمن واجتاز البحر إلى بلاد المغرب ثم عاد منها ماراً بجنوبي جزيرة العرب حتى الخليج العربي فزار عمان والبحرين والإحساء ثم رجع إلى مكة فحج حجته الثالثة [17] .

ثم خرج من مكة إلى بلاد الهند فمر بخوارزم وخراسان وبلاد الهند وكابول والسند وتولى القضاء في دلهي على المذهب المالكي للسلطان محمد شاه ولما أراد السلطان محمد أن يرسل وفداً إلى ملك الصين خرج ابن بطوطة فيه وفي عودته مر بجزيرة سرنديب وجزائر الهند والصين ومن ثم عاد إلى بلاد العرب عن طريق سومطره سنة 747هـ /1347م فزار بلاد العجم والعراق ودمشق وفلسطين ومنها إلى مكة فحج حجته الرابعة . وبعد هذا رأى أن يعود إلى وطنه فمر بمصر وتونس ومراكش فوصل فاس سنة 749ه-1349م .

2 . الرحلة الثانية 750هـ ـــ752ه/1350م ــ 1352م: لم يقم ابن بطوطة في فاس طويلاً حتى وجد نفسه نزوعاً إلى السفر إلى بلاد الاندلس فمر في طريقه بطنجة وجبل طارق وغرناطة ثم عاد إلى فاس [18] .

3 . الرحلة الثالثة 752-754هـ/1352-1354م

كانت رحلته الثالثة إلى بلاد السودان مبتدئة بسجلماسه[19] ثم تغازا[20] ومالي وزاغري[21] وتمبكتو[22] وكارسخو[23] وتكدا[24] ومن هناك رجع إلى فاس ويعد ابن بطوطة أول سائح كتب عن مجاهل أفريقيه المتوسطة [25] .

المبحث الثاني

منهج ابن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)

أسلوبه وطريقة كتابته

بعد أن أقام ابن بطوطة في قصر السلطان أبي عنان بن مرين بدأ يحدث الناس بما رآه من عجائب الأسفار وهم يعجبون من ذلك . ولما علم السلطان بأمره وما ينقله من طرائف الأخبار عن البلاد التي زارها أمر كاتبه الأديب محمد بن جزي الكلبي أن يكتب ما يمليه عليه الشيخ ابن بطوطة فانتهى من كتابتها سنة756ه/ 1356م وسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) [26] . وكان هذا من أبرز مؤلفات ابن بطوطة حيث دون في مؤلفه هذا جميع أسفاره وكل ما رآه وشاهد من أحوال البلاد .

إن الذي يقرأ الكتاب من أوله إلى آخره يرى أن مقدمته وخاتمته كتبت بعبارات فيها شيء من التنميق والسجع والتكلف وشمل هذا النهج التقديم الذي سبق وصف المدن التي تناولها في كتابه، ويغلب على الظن أن هذا كُتب بقلم ابن جزي لأنه هو الذي تولى تلخيص الرحلة والنظر في أسلوبها وأقسامها وفيما له من سعة الوقت وانفساح المجال للظهور بمظهر الكاتب الأديب في حاشية السلطان مما يحمله على التأنق في عبارات الكتاب وتحسينها جهد المستطاع والى جانب التنميق في صياغة العبارات فان مؤلفه هذا كان يضم في ثناياه عبارات سهلة لا تأنق فيها ولا تكلف حتى إنها لتبدو في بعض الموضوعات خالية من الترتيب والتأليف على نسق يقرب على إنشاء العامة [27] .

أهمية الكتاب

تحوي الرحلة الكثير من طريف الأخبار ونادر الحكايات وعجائب المخلوقات في الحيوان والنبات فكان لذلك أثر ظاهر في تقدم علم الجغرافية ونمو الثروة الأدبية لدى المتأدبين ،وحسب الكتاب أن يشهد بفضله على العلم والأدب الرحالة الشهير والعالم الكبير (سيتزن) فيقول ما معناه ((أي سائح أوروبي يمكن أن يفتخر بأنه قضى من الزمن ما قضاه ابن بطوطة في البحث لكشف المجهول من أحوال هذا العدد الكثير من البلدان السحيقة وتحمل من مشاق السفر ما تحمله بصبر وشجاعة)) [28] .

إن ما جاء من المعلومات صحيحة عن جهات أفريقيه المجهولة لايقل فائدة عن معلومات ليون الأفريقي . [29] .

كذلك تكمن أهميته في المجهود الذي بذله ابن بطوطة في استحصال المعلومات فتحمل المصاعب وأخطار الرحلات والأسفار في الماضي خصوصاً وإنه لم يكن يحمل معه المال الكافي ليفي بمتطلبات الانتقال من مدينة الى اخرى وما يتبع ذلك من دفع رسوم وضرائب للدخول والخروج في تلك العصور [30] .

لقد عني الأفرنج بالرحلة حيث أن كثير من المستشرقين اجتهدوا في البحث عن نسخ الرحلة الأصلية زمناً طويلاً فعثر السائح (يوركهات) على مختصر لها فظهرت به قيمة هذا المؤلف العظيم ثم جاء بعده (كزستارني) فبحث حتى عثر على نسخة أخرى فترجم عنها إلى اللاتينية أسفار ابن بطوطة إلى بلاد أفريقيه وفارس وبلاد التتر ونشرها سنة 1881م . وقد ترجمت إلى عدة لغات إلى اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية والتركية [31] .

دوافع تاليف الكتاب

كان الدافع الرئيسي للرحلة هو الرغبة في أداء فريضة الحج . لقد كان الخارجين للحج في تلك العصور أن يخرجوا في قوافل خاصة منظمة تنظيماً دقيقاً وفيها ناس متخصصون في كل ما يتصل بالحج من معرفة الطريق ومراحله وأوقاته ومزودة بكل مطالب الحجاج وكان هذا الراكب يسمى في المغرب باسم ركب الحاج المغربي لكن ابن بطوطة تعجل الأمر ولم ينتظر ركب الحاج المغربي وذلك يعزى بدافع الشوق إلى رؤية الدنيا والناس والمعرفة [32] .

لا يتبادر إلى الذهن أنه خرج للرحلة لوحده أي منفرداً بنفسه بل خرج مع أناس لا يعرفهم وذلك بسبب اهتمامه برؤية الناس والغرائب . ما أعانه على القيام بهذه الرحلات قوة بدنه وتحمله المتاعب ومقاومة الأمراض فقد كان يأكل أي طعام ماعدا المحرمات وأحياناً نجده يصوم عن الطعام أياماً ليصح بدنه إذا تم به سقم كانت له معرفة بالطب والأعشاب التي كان الناس يتداون بها من الأمراض الشائعة [33] .

المحتوى

أملى ابن بطوطة رحلاته على الأديب محمد ابن جزي الكلبي فانتهى من كتابتها عام 756هـ-1356م وأطلق عليها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) فأملى ما شاهده في رحلته من الأمصار ما علق بحافظته من نوادر الأخبار ، ؟؟؟ من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار وكذلك ما فيه نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر وقد كشفت هذه الرحلات عن أسرار كثيرة من البلاد التي زارها ابن بطوطة إذ يعد أول من ذكر شيئاً عن استعمال ورق النقد في الصين واستخدم الفحم الحجري وكان صادقاً في أغلب أوصافه وأطلق عليه الرحالة الأمين [34] .

أفاد مؤلف ابن بطوطة هذا علم الجغرافية بما ذكر من أوصاف للبيئة الطبيعية والتضاريس الجغرافية البشرية والسكان والعادات والتقاليد كذلك أفاد علماء الاجتماع وغيرهم من الدارسين لأحوال الشعوب . وفيما ياتي نماذج لاوصاف المدن التي زارها في رحلته ،فقد وصف مصر وصفا جميلا بانها (ام البلاد) ووضح عمارتها وطبائع المصريين بأنهم أهل طرب وسرور ولهو كذلك وصف الإسكندرية بأنها الثغر المحروس المدينة العجيبة الشأن الأصيلة البنيان ووصف النيل الذي يعد من أفضل الأنهار عذوبة ومذاق، وتنقل بين مدن الصعيد وأسيوط ووصف خيراتها ومنتجاتها . ثم دخل الشام ووصف مدنه والمسجد الأقصى ومدينة صور وطرابلس والشام وحلب وزار مدينة بعلبك وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام وانتقل إلى الحجاز فعرج على المدينة ووصف مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وروضته الشريفة والمنبر الكبير والحجر الأسود والصفا والمروة وزمزم ثم وصف العراق وبلاد فارس والقسطنطينية وغيرها من البلاد [35] .

وله في الهند وجزرها وجاوة وسومطره أوصاف شتى للعادات مثل احراق النساء والأعراس وأسطورة السباع ووصف جزر المليبار وغيرها من جزر المحيط الهندي وتنقل بين أنحاء سيلان وله في جاوة والصين أوصاف شائعة عن دجاج الصين وديوكها الضخمة جداً ، كما ذكر ابن بطوطة حقيقة تاريخية هامة في رحلته هو استخدام أهل الصين ورق النقد ، ووصف رحلته إلى الأندلس وذكر خيراتها وأسواقها وتنقله بين مالقه وقواعد الأندلس وغرناطة وغيرها . وكانت رحلته الثالثة مخصصة للسودان وذكر ما فيها من معادن وخاصة الملح والذهب والفضة وضايقت رحلته كثرة الذباب والقمل والماء الزعاف . وذكر العادات الحسنة لأهل السودان مثل حفظ القرآن الكريم والالتزام بالصلوات [36]

فيتضح من خلال محتوى الكتاب أن ابن بطوطة اعتمد في كتاباته ومشاهداته على الوصف والوصف الدقيق لكل صغيرة وكبيرة في أي مجال لذلك امتازت معلوماته بنسبة كبيرة من المصداقية أي منهجية تعتمد على الملاحظة المباشرة والوصف .

المبحث الأول
مملكة مالي

موقعها الجغرافي

تقع مالي بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وجبال البربر شمالاً [37] . وتمتد هذه المملكة على أحد أطول فروع النيجر في مسافة نحو 300 ميل متاخمة للمملكة السابقة من جهة الشمال والقفر مع جبال وعرة من جهة الجنوب وتحدها غرباً غابات مهجورة تمتد إلى المحيط وشرقاً إقليم كانو واسم مالي بالاصل هو (ملي) وهي المملكة العظيمة التي كونها شعب الماندنجو وبلغت أوج عظمتها في القرن التاسع الهجري / الرابع عشر الميلادي [38] .

سكانها

ينقسم أهل مالي إلى قسمين أحدهما يسكن المدن والثاني رّحل ينتقلون في البوادي وتعد مملكة مالي من أعظم ممالك السودان الإسلامية وتشتمل على خمسة أقاليم كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة تجتمع حول صاحب مالي وهذه الأقاليم : مالي – صوصو – غانه – كوكو – تكرور [39] .

أطلق أسم مالي على سائر المملكة يسكنها الملك وحاشيته ولليوالافريقي وصف لارض مالي وسكانها اذ يقول : ((إنه يكثر فيها الحب واللحم والقطن ويوجد في هذه القرية عدد كثير من الصناع والتجار المقيمين والطارئين الذين يوليهم الملك عناية أكثر من غيرهم والسكان أغنياء بفضل تجارتهم إذ يزودون غينيا وتمبكتو بكثير من المنتجات وهم أكثر تحضر وذكاءاً واعتباراً من جميع السود [40] .

نشاتها

لا يعرف إلا القليل عن نشأة مملكة مالي على الرغم من إنها تعد من أقوى وأعظم دول السودان الغربي ومن أوفرها غنى وكل ما يعرف عنها ،أنه في نحو منتصف القرن الحادي عشر الميلادي اعتنق ملوك الماتدنجو في كانجا الاسلام وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي بدءوا يوسعون مملكتهم في الجنوب والجنوب الشرقي وقد أثار قيام هذه المملكة عداء ملك صوصو الذي بدأ يعمل على القضاء على هذا الملك الجديد وكادت جهوده تنجح لولا ظهور الملك سنديانا في سنة 1230م استطاع أن يجعل مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هي امبراطورية مالي [41] .

وهناك من يقول (قد بدأ المعروف عن تاريخ هذه الدولة يتضح منذ القرن السابع الميلادي على إنها بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي وقد ولي دولة مالي منذ ظهورها ما لايقل عن ثماني أسر حاكمة لا يعرف منها إلا القليل) [42] .

إن إقليم ملي كبير وواسع جداً ومتسع وهو بين المغرب الأقصى من جهة البحر والمحيط وقام شعب الماندنجو بإنشاء دويلة صغيرة انفصلت عن امبراطورية غانا التي كانت أقوى دولة وأطلق المؤرخون عليها اسم كانجايا وكانت هذه الدويلة مسلمة أرادت أن تشارك بنصيب يتناسب مع حجمها الإسلامي وبدأت تتسع وأصبحت إمبراطورية ضمت مالي والسنغال وشمال غينيا وشمال قولتا وداهوي والجنوب الأقصى من موريتانيا ومساحتها قدرت طولياً برحلة تستغرق أربعة أشهر من الغرب إلى الشرق وعرضياً يتسغرق ثلاث أشهر من الشمال إلى الجنوب . وعندما انهارت امبراطورية غانا على يد شعب الصوصو تولى الزعامة شعب الماندنجو وانتصروا عليهم في معركة كبرينا وهذا الانتصار هو بداية ظهور الامبراطورية وظهورها كأقوى دولة في غرب أفريقيا ونشوء امبراطورية إسلامية على أسس جديدة [43] .

تاريخ رحلة ابن بطوطة إلى مملكة مالي

لقد جذبت امبراطورية مالي أنظار الرحالة المسلمين والعرب فزاروا تلك البلاد ووصفوها وقد قام الرحالة ابن بطوطة بزيارتها في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي أي في عام 753ه/ 1353م في عهد سليمان 741ه ــ760ه/ 1341-1360 سلطان امبراطورية مالي واستغرقت رحلته في هذه المنطقة تقريباً عشرة أشهر وكان من ضمنها شهر رمضان لذلك العام حيث دخلها يوم 14 جمادى الأولى سنة753ه/ 1353 وخرج عنها في 22 محرم سنة754ه/ 1354م . ووصف ابن بطوطة كل ما رأى في مجالات الحياة المختلفة [44] .

أشهر ملوكها

1. منسا موسى (738-712هـ/1312-1337م)

كان منسا موسى من أعظم ملوك مالي وسمي عصره بالعصر الذهبي ونال شهرة واسعة في العالم المعروف وقد بلغت مالي في عهده قمة عظمتها وقوتها وثروتها وقد اشتهر بقدرته وعلو همته وقد جاهد لإعلاء شأن بلاده وكان رجلاً مثقفاً عادلاً يجيد العربية [45] .

وقد وصف ابن بطوطة منسا موسى بأنه كان كريماً فاضلاً يحتفي بالغرباء ويحسن إليهم ولقد وردت حكايات عديدة عن كرمه وجوده فهو الذي أعطى أبا إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة الآف مثقال وأنه أعطى مدرك بن فنوص ثلاثة الآف مثقال في يوم واحد ويقول أن الفقية مدرك أخبر ابن بطوطة أن رجلاً من أهل تلمسان كان قد أحسن إلى السلطان منسا موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلث مثقال وهو يومئذ صبي ثم جاءه هذا الرجل وهو سلطان فعرفه وقربه وقال لأمرائه ما

جزاء من فعل ما فعله من الخير فقالوا الحسنة بعشرة أمثالها فأعطاه سبعين مثقالاً فأعطاه سبعين مثقالاً فاعطاه عند ذلك سبعمائة مثقال وكسوة وعبيد وخدماً وأمره أن لا ينقطع عنه [46] .

2 . منسا سليمان759 ــ773ه/ 1359-1373م

أسمه : هو السلطان منسا سليمان ومعنى منسا هو السلطان ، وهو أخو موسى .

صفاته : من أبرز الصفات التي وثفها به أنه كان عادلاً لا يظلم ولا يقبل الظلم وشددّ في حكمه ضد الظلم حيث أبلغ أحد أمرائه بأنه بريء من الظلم ، والظالم له عقاب شديد ومن علم الظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه واستند منسا سليمان في قراره وحكمه هذا إلى الحكاية التي سمعها من أحد الفقهاء الذين جاءوا إلى قصره وهو قادم من بلاد بعيدة حيث قام بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير وصدقه القاضي والسلطان تعبيراً عن صدقهم قاموا بنزع العمائم من على رؤوسهم حيث أخبرهم الفقيه أن الجراد وقع ببلادهم فخرج أحد صلحائهم إلى موضع الجراد فشاهد كثير فاجابته جراده وقالت: إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لافساد زرعها [47] .

وكان صالحاً تقياً من المواظبين على الصلاة وحفظ القرآن وكان يشجع على حفظه والاهتمام بالتعليم وبناء المساجد [48] .

ومن الصفات التي نعتها به ابن بطوطة صفة البخل حيث ذكر أنه ملك بخيل وأن السودان الغربي كانوا يكرهونه لشدة بخله [49] ولايرجى منه كبير عطاء [50] .

وتولدت لديه هذه الفكرة نتيجة لما تعرض له وشاهده في ضيافته حيث استقر لديهم فترة شهرين بسبب مرض ألمّ به وعندما حضر إلى قصر السلطان بمناسبة عزاء مولانا أبي الحسن رضي الله عنه واستدعى الأمراء الفقهاء والقاضي الخطيب وحضرت معهم وقدمني السلطان فقال أشكر الله فقلت الحمد لله والشكر وقدم له ضيافة بسيطة وأقام مدى شهرين ولم يصل له شيء من السلطان فتكلمت مع دوغا الترجمان حول ضيافته فعندما سمع السلطان أجزل العطاء له وأحسن له عند سفرهِ [51] .

مما تبين أن صفة البخل لم تكن صفة متلازمة لهذا الملك وإنما الموقف والظرف الذي تعرض له ابن بطوطة أثناء رحلته ربما يعود إلى عدم معرفته الجيدة لهذا الشخص ومكانته المتميزة أو بسبب فترة مرضه الطويلة أنسته الاهتمام به وضيافته بالشكل المعتاد لذلك لو كان هذا الملك بخيلاً لما أجزل له العطاء بهذا السخاء الكريم فيما بعد كذلك حسب ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع وبالدرجة الأساس كتاب ابن بطوطة أن ميزة سكان هذه المنطقة هو الكرم .

دور مملكة مالي في نشر الإسلام

تشير المصادر التاريخية على قدم الإسلام في مالي حيث يذكر ابن بطوطة أن شعب الماندنجو من أكثر شعوب السودان الغربي تمسكاً بالإسلام وتحمساً لزيادة انتشاره ويؤكد ابن خلدون ذلك بأن الإسلام قديم في مالي [52] .

أما سبل انتشار الإسلام في المنطقة لقد كان للفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي أثر كبير في دفع الحركة الإسلامية ونشرها [53] حيث انتهت جميع فتوحاتهم بالدعوة إلى الإسلام في السودان الغربي . كما لا ننسى دور التجارة في نشر الإسلام في مالي فقد كان للارتباط المالي والتجاري بين مالي ودول المغرب الاسلامي اثر في هدايتهم الى الإسلام من غير شك [54] .

ولانغفل دور العلماء والدعاة حيث شكلوا دوراً رئيسياً في نشر الإسلام وتعاليمه السمحة . أما المرابطون والأربطة التي اتخذت كمراكز للتدريس والتثقيف بتعاليم الاسلام كانت مجالاً واسعاً لنشر الإسلام في عموم المنطقة . [55] .

لقد اجتذبت قوة وثراء ورخاء هذه الامبراطورية إعجاب المسلمين في معظم أجزاء البلاد الإسلامية الأخرى التي دهشت لحسن تنظيمها وتنسيقها [56] . فكتب عنها ابن بطوطة وهو من الأوائل الذين ارتادوا هذه الامبراطورية خلال رحلته سنة 1352-1353م وتحدث عن دورها الكبير في نشر الإسلام وعن مقدار توسعها وامتدادها وانتشار مظاهر الإسلام فيها [57] . حيث تكمن أهميتها بامتلاكها القوة العسكرية وتعرفها على أساليب القتال وتجنيدها جيشاً قائماً على الخيالة ثم تبنيها لحركة الجهاد في سبيل الإسلام واتضح في عهد ملكها سنديانا حيث استطاع هذا الملك اخضاع عدد كبير من الممالك المجاورة له لسلطته . كذلك اتخذ حاضرة جديدة ترمز إلى الدولة وقوتها النامية ونفوذها المتسع . وكذا الحال ما سار عليه منسى موسى في التوسع والاستيلاء على عدد من المناطق وأدخلها إلى امبراطوريته الواسعة وأثر رحلة الحج والتي قام بها التي أسهمت بشكل كبير في التأثير على الدول الإسلامية من ناحية التعريف ببلادهم وتطويرها دينياً من خلال العلاقات الدينية مع القاهرة والمغرب وشراء الكتب والمصادر الفقهية الشرعية ، وتجارياً من خلال اتساع العلاقات التجارية بين المناطق التي سار بها ومع الدول غير الإسلامية بإدخالها تحت راية الإسلام [58] .

حيث قامت مملكة مالي بدعوة الوثنين إلى الإسلام حيث يوجد 3000 الآف داعية وعالم وفقيه في مدينة جنى وهي دليل على نشاط الدعوة الإسلامية في المملكة . وهذا النشاط اسهم في نشر الاسلام وتوسعه وفي تطور كافة العلوم الإسلامية في أراضيها والأراضي المجاورة لها مثل اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة والعروض . كذلك مكانة علماء مالي وفقهاء بين مسلمي المنطقة وسمعتهم الطيبة [59] وأمانتهم التي اتصفوا بها مما جعلتهم من أنشط الدعاة في الإسلام [60] .

المبحث الثاني
المظاهر الاجتماعية في مملكة مالي من خلال كتاب

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تمثل المظاهر الاجتماعية مادة علمية دقيقة تنقل صورة المجتمع وتعزز المادة التاريخية كمنهج وأسلوب لأنها حقيقة قائمة على الملاحظة للجوانب الاجتماعية التي هي أساس لمظاهر الحياة الأخرى فمن خلالها تبرز العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية للترابط الوثيق بين هذه المظاهر فيها توثر وتتأثر مع بعضها البعض .

أبرز المظاهر الاجتماعية هي :

لقد كانت القبيلة هي أساس الوحدة الاجتماعية السائدة في مملكة مالي لكن بمرور الوقت اتسع نطاق هذا المفهوم وأصبح أوسع مما يبدو فأصبحت هناك أنظمة وقوانين تسير عليها القبيلة وفق الشريعة الإسلامية ووفق نظام الحكم الذي كان سائد على الأغلب على نظام الوراثة . لكن بقت هناك عدد من الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة قبل الإسلام. وهي عادات وتقاليد تلك المنطقة المتأصلة في نفوسهم . من هذه الظواهر التي ذكرها ابن بطوطة هي عدم ارتداء الخف لدى عامة الناس ما عدا الترجمان أيام الاحتفالات [61] وكذلك رمي التراب على رؤوسهم وظهورهم كنوع من التأدب والاحترام والتذلل للسلطان كما يفعل المغتسل بالماء البارد [62] .

مكونات المجتمع

فيما يخص مكونات المجتمع عندهم فهم عبارة عن خليط من الأجناس والقوميات والديانات فهناك الأغلبية من السودان ووجود عدد من البيضان والزنوج وكان للبيضان معاملة خاصة ((فمنسا موسى يحب البيضان ويحسن إليهم)) [63]وكانت هناك محلة خاصة للبيضان [64] . أي إنهم معزولين .

كذلك توجد أنواع من الديانات منها الإسلام ولانتشاره كان له أهمية كبيرة فمظاهره برزت ولقد أثنى عليها ابن بطوطة عليها وقال إن الزنوج حريصين على أدائهم لعبادتهم وطقوسهم الدينية والتزامهم بهذه العبادة من صلاة وزكاة وصوم كذلك تقديم الصدقات فيذكر أنه كان إذا جاء يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام وكانوا مواظبين على الصلاة في أوقاتها ويعلمون أولادهم . ويذكر أنه حضر في مالي صلاة العيدين الأضحى والفطر فيخرج الناس إلى المصلى بأعداد كبيرة [65] .

ولا يقتصر الاهتمام بالناحية الدينية على الصلاة والصوم وإنما كانت مسألة حفظ القرآن وتعلمه من المسائل العظيمة والكبيرة التي يسعى السلطان والمجتمع المالي في تعلمه . حيث كانت من عاداتهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهرت في حقهم تقصير في حفظه فلا يفك عنه القيد حتى يحفظوه [66] .

ويذكر عنهم ليو الأفريقي أنهم من أنشط الدعاة إلى الإسلام الذين انتشر بواسطتهم بين الجماعات المجاورة لهم وأنهم أكثر وأشد جميع الزنوج احتراماً وذكاءاً [67] . كذلك تكمن المظاهر الدينية للإسلام في النقوش والزخارف في المساجد ودور العبادة .

المرأة

يذكر ابن بطوطة عن معاملة المرأة في رحلته بقوله أنه في إحدى أيام إقامته بمالي أن السلطان غضب على زوجته الكبرى وهي أبنة عمه تدعى (قاسا) ومعناه الملكة وهي شريكته بالملك على عادة السودان وهذا تقدير الصلة القربى وتكريم لمكانة المرأة ودورها في المجتمع بحيث يذكر أسمها مع أسمه على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولى مكانتها زوجته الأخرى (ينجو) ولم تكن من بنات الملوك فأكثروا الناس الكلام وأنكروا فعله وكانت (لقاسا) دوراً في السياسة باعتبارها شريكة في الملك فقد قامت بإرسال شخص إلى باطل ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كنبرى واستدعته لخلع السلطان [68] .

ومن عاداتهم المتأصلة هي مسألة العري فمن المعتاد أن تخرج بعض نساء المجتمع وجواريه عاريات غير مستترات ((لقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا)) [69] .

فئات المجتمع

يتكون مجتمع مالي من عدة فئات فهناك أصناف مختلفة حسب مكانتهم ومهنهم فمنهم الأمراء والفقهاء والقضاة والخطباء وكان من عاداتهم أن يحضروا عند الاحتفالات وعقد الولائم بسبب حضور ضيوف أو عزاء حيث يذكر ابن بطوطة أن السلطان سليمان صنع طعاماً برسم عزاء مولانا أبي الحسن واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضي والخطيب وحضرت معهم)) [70] .

كذلك كان هناك الأجناد والولاة والفتيان والمسوقة [71] وغيرهم خارج المشور .

ولا ننسى الجواري والعبيد والخدم فيوجد منهم الكثير فيلفت انتباهنا ابن بطوطة أن أهل مالي كانوا يتفاخرون بكثرة العبيد والخدم والجواري ولا يبيعون المعلمات منهن إلا نادراً وبالثمن الكثير [72] وهناك فئة تدعى السلحدارية [73] . وكانوا يقعدون يمنة ويسرة في المشور وهناك أيضاً الفرارين وكل فراري بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والأطبال والأبواق تصنع من أنياب الأقبال [74] .

ملابسهم

يشير ابن بطوطة لملابس سكان مالي سواء كانت ملابس الرأس أو ملابس البدن أو ملابس القدم.

العمامة : وهي نوع من لباس الرأس وهي متنوعة حسب الشكل واللون والحجم ولقد ابدى ابن بطوطة اعجابه بها، بكيفية صناعة هذه العمامة فقال كان دوغا الترجمان (يرتدي عمامة ذات حواشي لهم في تعميمها صناعة بديعة) [75] .وهناك الشاشية[76] مشدودة بعصابة ذهب .

الجبة : ورد ذكر للجبة كلباس للبدن وتختلف الجبة على حسب طبقات المجتمع والمستوى الاقتصادي ومن حيث اللون والنسيج وهي للنساء والرجال [77] .

يروي ابن بطوطة أن (السلطان كان يرتدي جبة حمراء من الثياب الرمية المطنفس[78]) [79] .

الخف : هو من ألبسة القدم فكان الخف في مالي له وحسب ما ذكره ابن بطوطة فان عموم الشعب المالي لا يرتدون الخفاف باستثناء بعض الاشخاص ومنهم الترجمان حيث ذكر انه في يوم السابع والعشرين من رمضان شاهد الترجمان يرتدي الخف والبقية لا يلبسون خفاً [80] . أي يسيرون حفاة الأقدام .

أخلاقهم

حالهم حال أي مجتمع فيه الأخلاق الحسنة الحميدة والأخلاق السيئة فقد اهتم ابن بطوطة اهتماماً بالغاً بالمواقف الأخلاقية فهو يسجل أخلاق أهل مالي وقد جذبه من الوهلة الأولى :

1 . الكرم : وخاصة كرم الضيافة عندهم في الطعام والترحاب حتى وإن كانوا فقراء فعندما دخل ابن بطوطة المنطقة ذهب عند الفقيه وكان هذا الفقيه متزوجاً ببنت عمة السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وبخيرته [81] .

كما إن منسا موسى كان من صفاته أنه كريماً فاضلاً يحب البيضان ويحسن إليهم [82] وكان يغدق الأموال بكثرة فيذكر أنه أعطى لأبي إسحاق في يوم واحد أربعة الآف مثقال . وأشار أيضاً أن شيخاً أحسن لمنسا موسى في صغره بسبعة مثاقيل وكان يومها صبي ثم اتفق أن جاء إليه في خصومة وهو سلطان فعرفه ودعاه وجلس معه وقال للأمراء ما جزاء من فعل الخير قالوا الحسنة بعشرة أمثالها فأعطه سبعين مثقالاً فأعطاه سبعمائة مثقال وكسوة وعبيداً وخدماً وأمره أن لا ينقطع عنه [83] .

2 . التواضع : هذه الصفة كانت مميزة جداً ومعناه الخشوع والخضوع وهو دليل على طهارة النفس والابتعاد عن الكبر [84] وأشار بقوله : (كانوا أعظم الناس تواضعاً لملكهم وأشدهم تذللاً ويحفلون باسمه) وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام [85] .

3 . قلة الظلم : فهم من أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر ولا المقيم من سارق أو غاصب [86] . ولكنه يؤخذ عليهم من **الأخلاق السيئة** أو العادات هي خروج الجواري والخدم والبنات الصغار عاريات بادين عوراتهم كذلك أنهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير [87] . وهناك فئة من السودان لديهم تأكل الآدميين يجعلون في آذانهم أقراطاً كباراً وتكون فتحة القرط شبر ويلتحفون بملاحف الحرير ويقول أن أطيب ما في الأدميان الكف والثدي [88] . كما إنهم يتعاملون بالودع في البيع والشراء [89] .

كما إن صفة البخل كانت موجودة عند البعض منهم وخاصة السلطان منسا سليمان فقد كانوا يكرهونه لبخله ولا يرجى منه كبير العطاء [90] .

طعامهم

امتاز المجتمع المالي وفق رؤية ابن بطوطة بتنوع الأطعمة التي تقدم في ضيافة السلطان أو في مراسيم الضيافة والعزاء والولائم فيذكر إنه عندما وصل إلى مالي وذهب إلى الفقهاء الماليين قامت زوجته بطبخ خيرة الطعام وهو عبارة عن (عصيدة [91] تصنع من شيء يشبه القلقاس[92] يسمى القاضي) وهي عندهم مفضلة على سائر الأطعمة وهناك الخبز واللحم البقري واللبن باختلاف طرق الطبخ هناك المقلي والرائب وعلى شكل أقراص حيث ذكر أنه قدم له (ثلاث أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالغرتي [93] وقرعة من اللبن الرائب) [94] .

وتستخدم بعض النباتات والأعشاب ليست كغذاء فقط بل تؤخذ كعلاج في حالات المرض منه البيدر وهو عروق نبات مخلوطة بالاينسون والسكر ولته بالماء فيشرب ويتقيأ فيتعافى الشخص [95] . وهذا دليل على طرق استخدام العلاج في حالة الإصابة بالأمراض وتطورهم في مجال الصحة والطب .

أعيادهم

كانت لهم طقوس ومراسيم في الاحتفالات الدينية والمناسبات الأخرى وخاصة انهم كانوا يحتفلون بأعياد الفطر والأضحى حيث يخرج الناس إلى المصلى وهم بمقربة من السلطان وعليهم الثياب الحسان وعلى رأسهم الطيلسان ولا يلبس إلا في العيد وهم يهللون ويكبرون [96] . وهم ينشدون نوع من الشعر فيه الوعظ .

أما يوم الجمعة فكانت له قدسية خاصة يؤدون فيه الصلاة وكانت أعدادهم مزدحمة لتأدية الصلاة وبعد عصر الجمعة يقيمون اشبه ما يكون بالاحتفال حيث يخرج رجال الدولة والصبيان يلعبون بالسيف ، وقد شاهد ابن بطوطة اثناء اقامته في مالي انه في عصر كل جمعة يخرج الترجمان دوغا بترتيب يتضمن موكب خاص حيث يلعب بالسيف لعباً بديعاً كذلك الصبيان يلعبون بخفة ورشاقة ويغدق عليهم السلطان الإحسان وخاصة الدوغا [97] .

الجواري والغلمان

كان لهم أثر كبير في فنون الرقص والغناء أثناء المناسبات والأعياد واهتم مجتمعهم أيضاً بالشعر والشعراء وكانت لهؤلاء مكانة مرموقة في قصر السلطان وخصوصاً في المناسبات الدينية مثل الجمعة وصلاة العيدين [98] . وكانت الآت الطرب تصنع من القصب والقرع وأنياب الفيلة وهي ليست لغرض الراحة والمتعة فقط بل كانت تعبيراً لمراسيم وطقوس دينية وسياسية مثلاً الخروج لاستقبال السلطان أو ذكر لغزواته وأفعاله [99] .

مراسيم الدفن والموت

فيما يخص هذا الموضوع كانت له إشارة في كتاب الرحلة لابن بطوطة بقوله أن السلطان سليمان أجرى عزاء لمولانا أبي الحسن وصنع طعاماً له واستدعى جميع الأمراء والفقهاء والقاضي فأتوا بالمربعات وختم القرآن وقاموا بالدعاء للميت والدعاء للسلطان أثناء هذه المراسيم [100] .

ويذكر أيضاً أن السلطان سليمان كان يكره البكاء عند الموت أما إيماناً منه أو كرهاً من هذا فيذكر الرحالة أنه كان مع السلطان فجاءت إحدى جواريه تصرخ وتبكي وأخبرته أن بنتاً له توفيت فكره البكاء وترك المكان وقال له تعالى نتمشى إلى البحر أي النيل [101] .

الاستنتاجات والوصايا

نستنتج من خلال هذه الدراسة ان الدراسة التاريخية الاجتماعية هو اسلوب يعتمد ه عدد كبير من الباحثين لنقل واقع الشعوب والامم والملوك وعامة الناس برؤية جديدة وفق منظار اجتماعي يرتبط بالجوانب السياسة والاقتصادية والثقافية ومقدار التاثر والتاثير بينهما

كما ان كتب الرحلات هي من المصادر التاريخية التي تغنيننا بالمعلومات والتي يعتمد عليها في جميع الدراسات والبحوث لانها دراسات تعتمد على الملاحظة والدقة المباشرة وخصوصا الكتاب الذي اشتغلنا عليه وهو تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار لذلك اضحت لها قيمة كبيرة في اغناء المكتبة التاريخية

واوضحت هذه الدراسة قيمة ومكانة الرحالة ابن بطوطة العلمية والتاريخية ومكانته في بلده وفي البلدان التي زارها

لذلك اوصي بان تكثف الدراسات التاريخية الاجتماعية لما لها من اهمية في اعطاء صورة مهمة عبر مراحل التاريخ

الاهتمام بمصادرنا العربية الاصلية من كتب ومؤلفات سواء كانت كتب رحلات او فتوح او تاريخ سير وغيرها لاننا مهما قمنا بدراسات عليها فاننا نجد فيها كنوز دفينة من تلراثنا الاسلامي التي يجب ان نسلط الضوء عليها .

الخاتمة

تأخذ دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية اهتماما كبيرا لدى الكثير من الباحثين لأنها تكشف حقائق ودقائق الامور في حياتهم وانعكاساتها التاريخية اجتماعياً وثقافياً واقتصاديا . ، والرحلة قدمت صورة للمجتمع المالي في القرن الرابع عشر للميلاد . أفادتني في دراستي الاجتماعية فهي تعطي صورة دقيقة للمجتمع في كل حذافيره من حيث المأكل والملبس والعادات والتقاليد والمستوى المعاشي لطبقات المجتمع . وكيف برزت حضارة إسلامية متقدمة زاخرة بالعلم والتقدم حيث ساهم الإسلام في بعث حياة مستقرة في أغلب مناطقها بفعل تعاليم الإسلام السمحة .

لقد اعتمد ابن بطوطة في رحلته إلى المملكة أسلوب الملاحظة المباشرة والوصف لملوكها وسلاطينها وأحوال البيئة والشعوب والشخصيات فقد تحدث عن كل صغيرة وكبيرة رآها فلم يعتمد على البحث والتقصي لمجريات الأحداث التي تعترض لها وإنما نقلها كيفما رآها . لذا لاحظنا أنه أغفل عن ذكر بعض الجوانب مثلاً الموقع الجغرافي أو نوع السكان الذين يعيشون في المنطقة .. وقد تشابه في بعض الأمور مع الرحالة الافريقي (ليون) كما أنه أبرز مظاهر الترف والأبهة والثراء للأغنياء.

لكن لا يمكن أن ننكر أثر رحلته في دعم المصادر التاريخية وإعطاء ثروة قيمة وكم زاخر من المعلومات لتاريخنا المجيد كذلك عززت دافع الترحال والتعرف المباشر لبلاد العالم سواء في عصره أو في العصور اللاحقة عن طريق السفر والترحال بأي وسيلة من وسائل النقل

لذلك نوصي بالاهتمام بتراثنا الجغرافي في مصادره التاريخية وخاصة كتب الرحلات فهي تعتمد على الرؤية الصادقة من اجل ابراز المظاهر الاجتماعية والفكرية والثقافية لحضارتنا الانسانية وابراز الدور العربي في كل فنونها لانهم اصل الحضارة .

ابن جزي هو ابو عبدالله محمد بن القاسم احد افراد اسرة بني جزي في غرناطة كان والده فقيها تولى كتابة رحلة ابن بطوطة توفي بفاس سنة 757ه ، المقري، شهاب الدين احمد بن محمد ت1401ه ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت 1997،ج5 ، ص 526[1]

(2) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي 779ه /1307م، ، تحفة النظار وغرائب الأبصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب ، (القاهرة ، لا. ت)، ص10 .

(3) مؤنس ، د. حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، (تحقيق ودراسة وتحليل) ، دار المعارف في القاهرة ، مصر ، ص17 .

(4) ابن بطوطة ، م ن ، ص10 .

(5) م ، ن ، ص10.

(6) مؤنس ، م ن ، ص17 .

(7) م ن ، ص17.

(8) ابن بطوطة ، م ن ، ص10 .

(9) م ن ، ص12.

هو السلطان المتوكل على الله ابي عنان فارس بن ابي الحسن من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الاقصلى استقر في فاس ولد سنة 729ه وبويع سنة 749ه وتوفي سنه 759ه . الناصري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن خالد ت 1315ه، الاستقصا لاخبار دول المغرب ، تحقيق جعفر الناصري ،ج3، دار الكتاب ، لا.ت، ص181 و ص 204[10]

(11) ابن بطوطة،ص11 .

(12) م ن ، ص3 .

(13) العوامري ، المولى ، احمد العوامري ، محمد أحمد جاد المولى ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، دار الحداثة ، ط2 ، (لبنان ، لا . ت)المقدمة ، ص3 .

(14) ابن بطوطة ، م ن ، ص11 .

(15) مؤنس ، ابن بطوطة ، ص17 .

عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد . الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت ، معجم البلدان، ط2، دار صادر بيروت ،1995، ج4، ص171.[16]

(17) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص11 .

(18) ابن بطوطة ، م ن ، ص11 .

مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيّام[19] الحموي ، معجم البلدان (3/ 192

وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ابن بطوطة، الرحلة ،ج2 ص 527[20]

وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة ، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية ابن بطوطة ج2 ص528 [21]

هي مدينة وبينها وبين النيل أربعة أميال. وأكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكمها فربا موسى[22] (رحلة ابن بطوطة 2/ 538

هي بلدة قريبة من النيل ينحدر منها إلى كَابرَة[23] (رحلة ابن بطوطة 2/ 528
مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها[24] (ابن بطوطة 2/ 540
(25) م ن .
(26) ابن بطوطة ، م ن ، المقدمة ،ص11 .
(27) م ن ، ص12.
(28) م ن ، ص13 .
(29) العوامري ، المهذب، ص14 .
(30) مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، ص21 .
(31) ابن بطوطة ، م ن ، ص13 .
(32) مؤنس ، م ن ، ص18 .
(33) م ن ، ص19-20 .
(34) مؤنس ابن بطوطة ، ص18 .
(35) ابن بطوطة ، م ن ، ص3 .
(36) م ن ، ص7 .
(37) حسن ، إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ط3،القاهرة ، 1984 ، ص102 .
(38)ليو الافريقي ، الحسن بن محمد بن الوزان الفارسي ، وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، ج2 ، ط ، الرباط – المغرب ، 1982 ، ص164 .
(39) حسن ، انتشار الاسلام ، ص102
(40)ليو الافريقي ، م ن ، ص164 .
(41) حسن ، انتشار الاسلام ، ص103 .
(42) الشيخلي ، صباح ، تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا ، ج1 ، بغداد ، 1987 ، ص87 .
(43) الغنيمي ، عبد الفتاح ، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا ، دار الطباعة ، القاهرة ، 1985 ، ص94 .
(44) ابن بطوطة ، م ن ، ص10 .
(45) الشيخلي ، م ن ، ص91 .
(46) ابن بطوطة ، م ن ، ص450 .
(47) م ن ، ص449 .
(48) م ن ، ص449 .
(49) مهذب ابن بطوطة ، م ن ، ص303 .
(50) م ن ، ص302 .
(51) مهذب ابن بطوطة ، م ن ، ص303 .
(52) ابن بطوطة ، م ن ، ص445 .
(53) الغنيمي ، حركة المد الاسلامي ، ص96 .
(54) الشيخلي ، م ن ، ص95 .
(55) فيج جي دي ، تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة. يوسف نصر مراجعة علي رياض حبيب ، دار المعارف ، ط1 ، القاهرة، 1982 .
(56) اوليفر + فينج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق والسيد غلاب ، دار مصر للترجمة ، القاهرة لا.ت ،ص100 .
(57) ابن بطوطة ، م ن ، ص3 .
(58) محمود أحمد حسن ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986 ، ص220-223 .
(59) الغنيمي ، حركة المد الاسلامي ، ص102 .
(60) ارنولد – توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، 1957 ، ص355 .
(61) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص447 .
(62) مهذب ابن بطوطة ، ص305 .
(63) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص535 .
(64) م ن ، ص529 .
(65) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص532 .
(66) م ن ، ص448 .
(67) ليو الأفريقي ، م ن ، ص164 .
(68) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص534 .
(69) م ن ، ص536
(70) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص529 .

(71) المسوقة : المسوق الصبور ، ويقال سوقت الرجل أي ملكته ، أبن منظور ، لسان العرب ، ج9 ، ص164 .
(72) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص536 .
(73) السلحدارية : حاملين السلاح، ابن بطوطة ، الرحلة، ص533.
(74) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص532 .
(75) م ن ، ص529 .
(76) هي طاقية مدورة مصنوعة من الخزاو نسيج الاطلس مرصعة بالذهب والاحجار الكريمة . دوزي ، رينهات، اتكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ط1، ج6، العراق ، 1979، ص380
(77) ابن سيدة ، المخصص ، ص364 .
(78) والطنفس النمرقة فوق الرحل والرجل اذا لَبِس الثِّيَابَ الكثيرةَ، كطَرْفَسَ، فَهُوَ مُطَنْفس (تاج العروس (16/ 211
(79) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص529 .
(80) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص531 .
(81) م ن ، ص529 .
(82) م ن ، ص535 .
(83) م ن ، ص535.
(84) التوحيدي ، أبو حيان ،علي بن محمد ت 313ه، الامتاع والمؤانسة ، المكتبة العصري، بيروت 1424ه ، ص26 .
(85) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص531 .
(86) م ن ، ص535 .
(87) م ن ، ص536 .
(88) م ن ، ص537 .
(89) الودع : هو عبارة عن قواقع تتوالد في البحار الحارة ، انظر : دريد عبد القادر ، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء ، الموصل ، 1985 ، هامش 1 ، ص214 .
(90) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص445 .
(91) العصيدة ، دقيق يلف بالسمن ويطبخ (ابن منظور ،محمد بن مكرم ت711ه، لسان العرب ، دار صادر بيروت 1983،ج3 ، ص291) .
القلقاس هو نبات يؤكل مطبوخا ويسمن الفيروز ابادي ، مجد الدين ابو طاهر محمد ت 817ه، القاموس المحيط ، ط8، دار الرسالة ، بيروت ، 2005،ج1، ص567.[92]
(93) الغرتي : سرعة تقديم الطعام بسوقه (ابن منظور ، لسان العرب ، ج5 ، ص16) .
(94) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص533 .
(95) م ن ، ص529 .
(96) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص532 .
(97) م ن ، ص533 .
(98) مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص308 .
(99) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص448 .
(100) م ن ، ص529 .
(101) م ن ، ص539 .

المصادر والمراجع

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله الطنجي ت779هـ ، ***تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار*** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة .

الأفريقي ليون ، الحسن بن محمد بن الوزان ،(1982م)، ***وصف أفريقيا*** ، ترجمة محمد حجي ، الرباط ، المغرب .

ابن منظور ، محمد بن مكرم ت711هـ، (1414هـ)، ***لسان العرب*** ، ط3 ، بيروت :.دار صادر.

ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، ت 458 ، (1996) ، ***المخصص*** ، تحقيق خليل إبراهيم ، بيروت :دار إحياء التراث .

التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمدت313هـ (1424هـ)، ***الإمتاع والمؤانسة*** ، المكتبة العصرية ، بيروت .

الفيروز ابادي ، مجد الدين ابو طاهر محمد ت 817هـ ، ***القاموس المحيط*** ، ط8، بيروت :دار الرسالة.

الناصري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن خالد ت 1315هـ ، ***الاستقصا لاخبار دول المغرب*** ، تحقيق جعفر الناصري ،ج3، دار الكتاب .

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد ت1401هـ (1997)، ***نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب***، تحقيق احسان عباس، بيروت : دار صادر .

الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت 626هـ، (1995)، ***معجم البلدان***، ط2، بيروت :دار صادر

مؤنس ، حسن ، ***ابن بطوطة ورحلاته*** ، تحقيق ودراسة وتحليل ، القاهرة ، مصر:دار المعارف.

العوامري والمولى ، أحمد محمد ،أحمد جاد ، (1985) ***مهذب رحلة ابن بطوطة*** ،بيروت، لبنان : دار الحداثة .

حسن إبراهيم حسن ،(1984)، ***انتشار الإسلام في القاهرة الأفريقية*** ، القاهرة ، مصر ، .

الشيخلي ، صباح ،(1987)، ***تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق آسيا*** ، بغداد .

الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ،(1985)، ***حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا*** ، القاهرة : دار الطباعة .

دريد عبد القادر ،(1985)، ***تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب الصحراء*** ، الموصل .

أوليفر + فيبج (1986) ، ***موجز تاريخ أفريقيا*** ، ترجمة دولت أحمد صادق والسيد غلاب ، ط3 ، القاهرة : دار مصر للترجمة .

آرنولد ، توماس ، (1957)، ***الدعوة إلى الإسلام*** ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، .

فيج جي دي (1982)، ***تاريخ غرب أفريقيا*** ، ترجمة. يوسف نصر مراجعة علي رياض حبيب ، مصر :دار المعارف.

دوزي ،رينهات،(1979) ، ***تكملة المعاجم العربية***، ترجمة محمد سليم النعيمي، ط1، ج6، العراق .

References

Ibn Battuta, Mohammed Abdullah al-Tangi, (deceased 779 AH), ***Tuhfat Alnuddar in Garaeb Al Amsar Wa Ajaeb Al Asfar)***, Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, Dar al-Kitab al-Masri, Cairo

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram, (deceased 711 A.H), (1414) A H**.** ***Lisan Al-Arab***, 3rd edition, Dar Sader , Beirut,.

Ibn Sida, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail, deceased 458 A H, (1996***)*** ***Al Mukhassas*** , achieved by Khalil Ibrahim, Heritage Revival House, Beirut,

Al-Tawheedi , Abu Hayyan Ali bin Mohammed, Deceased 313, ***Entertainment and sociability,*** Modern Library, Beirut, 1424 A H

African, Leon, al-Hasan bin Mohammed bin Wazzan,1982 ***Description of Africa***, translated by Mohammad Haji, Rabat, Morocco,.

Al Fairouz Abadi, Majd al-Din Abu Taher Mohamed, deceased 817 A H(2005),***Al Qamoos Al Muheet***, 8th edition , Dar al-Resala , Beirut,

Al-Nasseri, Shehab al-Din Abu al-Abbas Ahmed bin Khalid, deceased 1315 A H, ***Survey of Maghreb countries***, achieved by Jafar Nasiri , part 3, Dar al-Kitab, (without date)

Al-Maqri, Shehab al-Din Ahmed bin Mohammed, deceased 1401 A H Neveh Al Teeb Mim Gusin al-Andalus Al Rateeb.

Hamawi, Shehab al-Din Abu Abdallah Yaqoot, deceased 626 A H, (1995) ***Dictionary of Countries*** , 2nd edition Dar, Beirut

Arnold Thomas, (1957)***The call to Islam***, translated by Hassan Ibrahim Hassan, Cairo,

Oliver and Vibij,(1986***)*** ***Brief History of Africa, translated*** by Ahmed Sadek, and Mr. Ghalab, 3rd edition, Egypt translation House, Cairo

Hassan Ibrahim Hasan,(1984) ***The spread of Islam in Africa*** , Cairo, Egypt

Duraid Abdulqader,(1985***)*** ***History of Islam in Africa and sub-Saharan***, Mosul.

Douzi Reinhardt(,1979) ***Arabic Dictionary supplement***, translated by Mohammed Salim Al Nuaimi, 1st edition , 6th part , Iraq

Al-Shaikhli, Sabah,(1987***)*** ***History of Islam in Africa and South-East Asia***, Baghdad

Veig J.D(.1982***)*** ***History of West Africa, translated*** by Youssef Nasr, reviewed of Ali Riad Habib, Dar al-Aref, 1st edition , Cairo,

Al-Awamri & Mawla, Ahmed Mohamed Ahmed Gad,(1985***)*** ***Inspector of trip Ibn Battuta***, House of Modernity, Beirut, Lebanon,

Al-Ghonimi, Abdel Fattah Mucalled ,(1985***)*** ***Islamic tide movement in West Africa,*** Printing House, Cairo,

Muneas, Hasan***,*** ***Ibn Battuta and his Trips***, achieved and studied and Analysis Dar al- Maerf, Cairo, Egypt.